

REPÚBLICA ÁRABE DE EGIPTO
MINISTERIO DE EDUCACIÓN SUPERIOR

REVISTA DEL INSTITUTO EGIPCIO DE ESTUDIOS ISLÁMICOS EN MADRID



Homenaje en memoria
del gran poeta Abderrahman Al-Abdnudi

VOLUMEN XLIII

MADRID, 2015

جمهورية مصر العربية - وزارة التعليم العالي - الإدارة العامة للتمثيل الثقافي

مجلة المعهد المصري للدراستات الإسلامية في مدريد



عدد خاص

تكريماً لذكرى الشاعر الكبير الراحل

عبد الرحمن الأبنودي

(TIRANT LO BLANCH EN EL MEDITERRÁNEO)

د. هاني العريان – جامعة لقنت (اليكانت)

Hany El Erian El Bassal / Universidad de Alicante

تلخيص: هذا البحث يحاول إلقاء الضوء وتقريب رواية الفروسية (تيرانت لو بلانك) للباحثين العرب. يجب أن نذكر هنا، أن هذه الرواية مجهولة تماماً بالنسبة للقارئ والباحث العربي بسبب عدم وجود ترجمة عربية لها. لكن يمكننا أن نقول إن هذا البحث هو ملخص ودراسة لترجمتنا إلى اللغة العربية لهذه الرواية التي ستنشر في القريب العاجل إن شاء الله. تبدأ الدراسة بمقدمة نتحدث فيها عن الرواية وكاتبها وبعد ذلك نُقدم خطاب الإهداء الذي كتبه جوانوت مارتوريل للأمير فرديناندو دي برتغال ونتفقد بعد ذلك الأجزاء السبعة التي تحتويها الرواية والتي تدور معظم أحداثها في نطاق البحر المتوسط.

مفاتيح البحث: رواية الفروسية - تيرانت لو بلانك - جوانوت مارتوريل

Resumen:

El título del trabajo es “Tirant lo Blanc en el Mediterráneo”, esta investigación pretende aproximar los investigadores árabes a la novela caballeresca de Joanot Martorell *Tirant lo Blanc*. Debemos recordar que esta novela es desconocida totalmente para el lector e investigador árabe debido a la ausencia de una traducción de la misma. Sin embargo, podemos decir que este artículo es un resumen de la investigación y el estudio de nuestra traducción al árabe de esta novela que se publicará en un futuro próximo. El estudio empieza con una introducción, en la cual se habla de la novela y su autor, luego analizamos la dedicatoria escrita por Joanot Martorell al príncipe Fernando de Portugal y, a continuación, resumimos y analizamos las siete partes que conforman la novela y que giran en su mayor parte en el entorno del Mediterráneo.

Palabras clave: Novela caballeresca - Tirant lo Blanc - Joanot Martorell

١. مقدمة

في الثاني من يناير لعام ١٤٦٠ وفي مدينة بلنسية بدأ جوانوت مارتوريل كتابة روايته الشهيرة تيرانت لو بلانك التي يمكن أن نعتبرها قمة الأدب البننسي والكتلاني وقد انتهى من كتابتها كما يقول بعض الباحثين عام ١٤٦٤ أي قبل وفاته بعام واحد أو كما يقول البعض الآخر^١ ١٤٦٨. نشرت الرواية لأول مرة بلغة أهل بلنسية^٢ في بلنسية عام ١٤٩٠^٣ وترجمت إلى اللغة الأسبانية ونشرت لأول مرة بهذه اللغة في بلد الوليد عام ١٥١١^٤ تحت عنوان "تيرانت الأبيض" وهي ترجمة حرفية لإسم الرواية. تيرانت لو بلانك أو تيرانت الأبيض هو إسم بطل هذه الرواية التي تعتبر من أحسن كتب الفروسية. لقد قرأها ميغيل دي سيرفانتس وذكرها في رواية دون كيشوت وقال عنها إنها أحسن رواية فروسية كتبت على وجه الأرض، لكن لم يذكر سيرفانتس شيئاً عن مؤلف هذه الرواية لأنه كان يعتقد أن هذه الرواية لمؤلف مجهول وذلك بسبب عدم وجود اسم المؤلف في الترجمة الأسبانية. ورغم الاستحسان الذي أظهره سيرفانتس لهذه الرواية، إلا أنها قد عانت إهمالاً طويلاً استمر لقرون عديدة. ولكن في القرن العشرين رجعت رواية تيرانت للانتشار من جديد على يد باحثين أسبان وأوروبيين أولهم خوسي أنتونيو فيث الذي أجرى دراسة وقال إن المؤلف الأساسي لهذه الرواية قد يكون راهباً أو كاهناً، عضواً في النظام

^١ Hany El Erian El Bassal, "Traducir Tirant lo Blanc a l'àrab: apuntes sobre un complex treball de traducció intercultural" en *Tirant Lo Blanch poliglota* (1511-2011) Cinc-cents anys de traduccions i estudis. Editorial Marfil, 2011, pp. 63.

^٢ اللغة البننسية أو الفنسيانية التي يعتبرونها في إقليم كاتالونيا لهجة من اللغة الكتلانية وفي إقليم بلنسية يعتبرون اللغة البننسية لغة مختلفة عن اللغة الكتلانية. انظر هاني العريان- "رواية تيرانت لو بلانك والإسلام والمسلمين" مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد- العدد ٤٠ - ٢٠١٤ ص ٨.

Hany El Erian, "Riwāyat Tirānt lo balānc wa-l-islām wa-l-muslimin" *Revista del Instituto Egipcio de Estudios islámicos en Madrid*, XL (2014), pp. 8.

^٣ Francisco Franco Sánchez: «Tirant i l'islam. L'Islam com a variable d'anàlisi de l'obra», *Aniversari sobre Tirant lo Blanc*, València, ed. Institució Alfons el Magnànim, 2011.

^٤ Mario Vargas Llosa, *Tirant lo blanc*, Madrid: Alianza literaria, 2006, pp. ٥٢; También véase, Vicent Martines, "De la traducció com a eina per estudiar millor els originals i escapar-ne el coneixement" en *Tirant Lo Blanch poliglota*, pp. 6.

[ماريو بارغاس لوسا، تيرانت لو بلانك، مدريد ٢٠٠٦ ص ٥٢]

العسكري أو ربما كاتب عدل. وقد اقتصر هذا العالم في حديثه على ما يمكن أن يستخلصه من هذا العمل ذاته وقال: " للأسف فإننا لا نعلم شيئاً عن (مارتوريل) ولا نجد أي مصادر عنه"^٥. في عام ١٩٢٩ اكتشف أندريس إيفارس بعض رسائل التحدي أو المواجهة التي كتبها مارتوريل خلال رحلته إلى إنجلترا، وقد كشفت هذه الرسائل بعض الضوء عن السيرة الذاتية والأدبية لمؤلف تيرانت لو بلانك^٦. لكن الفضل الأكبر لنشر هذه الرواية يرجع إلى الأديب الأسباني مارتي دي ريكير الذي نشر الرواية من جديد عام ١٩٤٧ ورافقها ببحث علمي جيد أظهر فيه كثيراً من الأسرار التي كانت خفية حتى ذلك الحين.

وعموماً فإن مارتوريل قد وُلِدَ في مدينة جانديدا، وهي مدينة ساحلية قريبة من بلنسية بين عامي ١٤١٣-١٤١٤ وهو ينحدر من عائلة نبيلة، وقد نشأ جوانوت مع الطبقة الأرستقراطية التي تنتمي إلى بلنسية. وقد شارك المؤلف في نزاعات ومعارك مع فرسان، ومن بين تلك النزاعات نذكر تلك التي وقعت بينه وبين دون جونزالبو دي هيجر قائد مجموعة سانتياجو وقد تبادل مارتوريل مع الفارس خوان دي مونبالو نحو ثلاث عشرة رسالة تحدي واتهمه بانتهاك منزله من خلال انتهاك شرف دامتات، الشقيقة الصغرى للمؤلف. وتوفي جوانوت مارتوريل في عام ١٤٦٨.^٧

٢. خطاب الإهداء إلى الأمير فردناند

خطاب الإهداء الذي نجده في الصفحات الأولى من رواية تيرانت لو بلانك (الموقع في ٢ يناير ١٤٦٠ وهو تاريخ افتراضي بدأ فيه مارتوريل العمل في كتابة الرواية) كان موجهاً إلى " صاحب السعادة الفاضل الأمير المجيد الوارث المرتقب فردناندو دي برتغال". - وفردناندو " هو ولي عهد مملكة البرتغال " ولد في ١٤٣٣ وهو الابن الثاني للملك إدواردو الأول ملك البرتغال وليونور دي أراجون. وقد توفي إدواردو في عام ١٤٣٨، في ذلك الوقت انتقل التاج إلى شقيق فردناندو، الفونس الخامس. ولكن لأن الفونس لم يزد عمره على ست

^٥ José A. Vaeth, *Tirant lo Blanc: Un estudio de su autoría, las fuentes principales y Marco Histórico* (Nueva York: 1918) ١٦٠.

^٦ Andrés Ivars "Estage de Joanot Martorell en Londres (1438-1439)" en (Anales del Centro de Cultura Valenciana, II, 1929), pp. 54-62.

^٧ لمعرفة المزيد عن حيات جوانوت مارتوريل أنظر: هاني العريان " رواية تيرانت لو بلانك والإسلام والمسلمين " ص ١٦-١٧.

Hany El Erian, "Riwāyat Tirānt lo balānc wa-l-islām wa-l-muslimīn" pp. 12-16.

سنوات في ذلك الوقت، فقد أقرت محكمة لشبونة، برغبتها في أن يستقر الأمر على ما هو عليه وأن يكون الفونس الخامس ملكا تحت الوصاية وأخوه فرديناندو دي برتغال وريثا للعرش وظل الوضع هكذا حتى عام ١٤٥١ عندما رزق الفونس بابنه الأول^٨.

ويدعي مارتوريل في خطاب الإهداء بأن رواية تيرانت لو بلانك هي عمل انجليزي طلب فرديناندو منه أن يترجمها إلى اللغة البرتغالية. وقال: "إنني قادر على ترجمة قصة تيرانت ليس من اللغة الإنجليزية إلى اللغة البرتغالية وحسب بل من اللغة البرتغالية إلى اللغة البنسبية العامية (الكتلانية) حتى يتمكن لأهل بلدي الاستمتاع والاستفادة من الأعمال الفريدة التي تتضمنها هذه الرواية". ونفس التأكيد ورد أيضا في بيانات النسخ التي أعدها مارتو جوان دي جالبا، والذي كما يقول بعض الباحثين أكمل قدرا معيننا من العمل بعد وفاة صاحب العمل الرئيسي في عام ١٤٦٨. ويقول جالبا "تمت ترجمة هذا الكتاب من اللغة الانجليزية إلى اللغة البرتغالية ثم إلى اللغة العامية البنسبية وقام بها الفارس العظيم الفاضل السيد جوانوت مارتوريل".

ورغم أن هناك ادعاء بأن النسخة الأصلية لـ "تيرانت" كانت مكتوبة بالانجليزية إلا أنه لا يوجد أي دليل لوجود هذا العمل خارج صفحات كتاب مارتوريل ويمكن أن يتكرر نفس الشيء مع النسخة البرتغالية التي لم يُعرف عنها شيء. "واليوم" كما يقول مارتو دي ريكوير "لا يشك أحد بأن رواية "تيرانت لو بلانك" تم تأليفها باللغة الكتلانية مباشرة"^٩.

ومن ناحية أخرى، فإن مارتوريل قد توقع أن يقرأ فيرديناندو خطاب الإهداء، فمن الصعب أن يدعي الكاتب أنه قد طلب منه أن يقوم بترجمتها. قد يكون صحيحا أن فرديناندو قد طلب من المؤلف أن يترجم بعض الأعمال التي قرأها مارتوريل في إنجلترا إلى اللغة البرتغالية. وفي هذا الحال لم تكن النسخة الأصلية من رواية "تيرانت لو بلانك" موجودة باللغة الانجليزية وكذلك رواية "جيري مودي فوريك" وربما الأكثر احتمالا، أن الكاتب قد وجد الترجمة النثرية إلى الفرنسية من القصة الأخيرة والتي ربما وجدها جوانوت في قصر الملك هنري السادس. تساءل ريكوير "ربما كانت واحدة من المخطوطات

[راجع فايث: دراسة ٧٥-٧٦] José A. Vaeth, *Tirant lo Blanc*, pp. 75-76.

^٩ Martí de Riquer, Joanot Martorell, Martí Joan de Galba, *Tirant lo Blanc*, Barcelona: Selecta, 1947, pp. 81. [مارتو دي ريكوير ١٩٤٧، ٨١].

الفرنسية، وربما اعتمد مارتوريل عليها في روايته^{١٠} ولذلك نرى أن الكاتب قد بدأ روايته بقصة جييرمو دي فوريك.

وعلى أي حال، فإننا نفترض بأن جوانوت قد تأثر بشكل كبير بالأسلوب السردي الذي وجدته في الكتب الموجودة في قصر الملك هنري أو ربما ذكر قصة جوي (أو جييرمو، كما كان يطلق عليه) لفردناندو أثناء توقفه في البرتغال في طريق عودته من إنجلترا (في رحلته عام ١٤٣٨ أو في رحلته الثانية حوالي عام ١٤٥٠-١٤٥١). وربما طلب فردناندو من مارتوريل أن يقوم بترجمة مآثر جوي (جييرمو) إلى اللغة البرتغالية، على الرغم من أن المؤلف لم يكن ماهراً في تلك اللغة إلا إنه أراد عمل كل شيء ممكن ليرضي الأمير^{١١}. وربما كان يثق في شخص آخر ليقوم بتلك المهمة في تحويل روايته المكتوبة باللغة البنسسية والتي كان بها جزء يتحدث عن جييرمو دي فوريك إلى لغة الأمير. وربما يكون خطاب الإهداء لهذه القصة بذاتها التي طلبها فردناندو منه.

وعلى أي حال فلا بد أن ندحض كل تلك الإدعاءات من الناحية الأدبية على الأقل والموجودة في خطاب الإهداء وبيانات النسخ السابقة على ترجمات "تيراننت".

٣. الجزءان الأول والثاني: (الفصول ١-٣١) و (الفصول ٣٢-٩٧)

يتحدث الجزء الأول من هذين الجزئين (الفصول ١-٣١) عن "جييرمو دي فوريك" و الثاني (الفصول ٣٢-٩٧) عن "حفلات في القصر لمدة سنة ويوم".

يقول مارتوريل في الفصل الافتتاحي من روايته "بمساعدة الرب فإننا نقدم هذا الكتاب عن الفروسية ويتضمن سبعة أجزاء رئيسية وضعت على شرف وسيادة الفرسان والتي يجب أن يتمتع بها الفرسان بين عموم الشعب". ولكن المشروع المطلوب لم يتم تنفيذه، وبالنسبة للسبعة أقسام التي ذكرها المؤلف يقصد منها (الجزء الأول يصف بداية الفروسية والجزء الثاني مكانة ومنصب الفروسية "الخ). نلاحظ أن الكاتب قد أخذ هذه المقدمة التمهيدية من عمل "لرامون للول^{١٢}

¹⁰ Op, cit, 94. [أنظر المرجع السابق ٩٤]

¹¹ Op, cit, 81-82. [أنظر المرجع السابق ٨١-٨٢]

¹² Ramon Llull, Llibre de l'orde de cavalleria. Madrid: Espasa-Calpe, 1985.

[أنظر كتاب رامون لول، (كتاب نظام الفروسية)]

. وفي نهاية الفصل الأول يتحول مارتوريل إلى هدفه الرئيسي ويقول " والآن في البداية فإن الكتاب سوف يتناول بعض الأعمال النبيلة التي قام بها ذلك الفارس الشجاع الشهير، أبو الفروسية الكونت جبيرمو دي فوريك في آخر أيامه المباركة."

فإن ما نعرفه عن جبيرمو هو " أنه عندما بلغ الخامسة والخمسين من العمر قرر القيام برحلته إلى الحج نادماً على كل من قتلهم من الرجال في مرحلة شبابه. وبعد وداع مؤلم من زوجته الكونتيسة، انطلق شطر القدس. وفي طريق عودته أبلغ مرافقه وبعض التجار بأن يعلنوا عن وفاته في الرحلة. وبعد أن فجعت الكونتيسة من موته، عاد جبيرمو إلى انجلترا وقد تغيرت ملامحه إذ أطلق شعره الطويل وأعفى لحيته التي اشتعل فيها الشيب. وارتدى ثياب القديس فرانسيس وعاش على الزكاة وتسلى سرا إلى " دير غير بعيد عن مدينة فوريك."

في تلك الأثناء بدأت جحافل المسلمين في غزو انجلترا وحاول الملك الضعيف لتلك الجزيرة كبح جماح جحافل الغزاة ولكنه لم يستطع، وهرب من الأعداء ومر بمدينة فوريك وهناك عرضت عليه الكونتيسة المأوى وتقديم الطعام له ولقواته وما يحتاجونه من العتاد الذي كان ينتمي لمستودعات زوجها جبيرمو. في تلك الأثناء صعد الملك الحزين إلى غرفة ليرى فيها رؤية وكانت السيدة العذراء وبين يديها طفل جميل. وقالت له إنه يجب أن يتخذ أول رجل يطلب منه الصدقة قائداً لرجاله. وفي اليوم التالي حضر الناسك النائب - جبيرمو - إلى القلعة يلح في طلب الصدقات من الملك، الذي تذكر العذراء وطلب منه المساعدة للدفاع عن المملكة. وأخيراً وافق الناسك وجهاز بعض القذائف المصنوعة من الكبريت ومواد أخرى. كانت تلك القنابل مدمرة حتى أن المسلمين الذين حاصروا فوريك حادوا عن الطريق وهربوا إلى قلعة مجاورة تدعى " كيلنج ورث ".

وبعد أربعة أيام وصل التحدي من الملك إبراهيم قائد المسلمين وملك كناريا. يقترح فيه أن يقابله ملك الانجليز في معركة فردية " ملك لملك " فإذا فُهر الملك المسلم وانتصر الإنجليز عادت قوات المسلمين إلى بلاده. فنصح الناسك الملك أن يقبل التحدي وهذا ما فعله.

تنازل الملك عن العرش لأجل ذلك الرجل الذي اختار منازل إبراهيم قائد المسلمين. فالرجل الذي عينه هو الناسك جييرمو الذي قبل على الفور التحدي باعتباره الملك الجديد لإنجلترا. كان جييرمو لا يزال رجلاً مجهولاً من الجميع فقد أذهل الكونتيسة عندما ذكر لها بالضبط أين توجد الأشياء التي تخص زوجها، فوجدت درعه وأسلحته التي يحتاجها لمصارعة الملك المسلم.

وبدأت المعركة وانتصر الملك الناسك. أما المسلمون فقد اختاروا لأنفسهم ملكاً جديداً كان يسمى كالي بن كالي الذي رفض أن يغادر الجزيرة. لقد أنقذ جييرمو إنجلترا من المسلمين وكل ذلك بعد دسائس وحيل وانتصارات حققها جييرمو على ملوك المسلمين.

وعندما عاد السلام قرر الناسك أن يكشف عن هويته للكونتيسة فأرسل إليها قطعة من خاتمه والذي قسمه بينه وبينها قبل الرحيل إلى القدس. فتطايرت الأخبار بأن جييرمو على قيد الحياة ونشر الملك الخبر في أنحاء القلعة والمدينة ولكنه سرعان ما أعاد التاج إلى صاحبه الحقيقي. لم يستطع الملك أن يقنع جييرمو بالبقاء في القصر الملكي. وعندما رأت الكونتيسة أن جييرمو عازم على أن يعيش حياة ناسك مقدس، توسلت إليه أن يبني ديراً حتى تستطيع أن تشاركه الحياة. ووافق جييرمو ولكن قبل أن ينتقلا إلى الدير الجديد أرسل الملك من لندن طلباً للكونتيسة أن تستقبل الملكة الجديدة من فرنسا " لتعليمها عادات وتقاليدها إنجلترا " وبالتالي ذهبت الكونتيسة إلى لندن ودخل جييرمو الدير الجديد وحيداً.

وكان دير جييرمو وسط مروج خضراء جميلة وعين ماء صافية وشجرة صنوبر فريدة في نوعها. كان يجلس كل يوم بعد قضاء ساعاته في التعبّد تحت شجرة ليراقب الحيوانات عندما تأتي لتشرب الماء من العين الصافية التي توجد أمام الدير. في تلك الأثناء قرر الملك أن يحتفل بزواجه بعقد مسابقات بعروض واحتفالات بالسلاح " وقد وصل الفرسان والنبلاء إلى القصر الإنجليزي من كل أصقاع الممالك المسيحية. وقد وصل واحد من أولئك النبلاء وهو شاب بريطاني ينحدر من أسرة عريقة وقد هذه الإعياء الشديد من السفر وغرق في نوم عميق في الركب. وقد حاد فرسه عن الطريق وجاء إلى النبع ليشرب، في تلك الأثناء كان الناسك في الخارج كالمعتاد، يقرأ كتاباً بعنوان "شجرة المعارك"^{١٣} وهو دراسة عن الفروسية. فاستيقظ الشاب مذعوراً ليجد نفسه أمام ناسك بلحية عظيمة بيضاء يرتدي ثياباً رثة ويبدو شاحباً نحيل القوام. فقال في

^{١٣} شجرة المعارك - للكاتب الفرنسي هونوري بونيت، هي أطروحة عن الحرب وقوانين الفروسية، كتبت عام ١٣٨٧.

نفسه لا بد أن يكون هذا الرجل مقدساً فاقرب منه لينقذ روحه والقي التحية على الراهب باحترام شديد.

فسأل جييرمو ليعرف اسم النبيل فأجابه " أيها الأب الكريم طالما أن قداسكم تود معرفة اسمي، يسعدني أن أخبرك به. إنهم يلقبونني تيرانت لو بلانك فأبي سيد منطقة تيرانيا المقابلة لإنجلترا في البحر وأمي ابنة دوق بريطانيا^{١٤} ويلقبونه بلانك " وقال تيرانت للناسك بأنه وأصحابه - الذين افترقوا عنه - غادروا بريطانيا ليتم تنصيبهم فرساناً في احتفالات زواج ملك إنجلترا والتي تستمر سنة ويوماً. وعندما سمع هذا غاص في أفكاره العميقة وراح يتذكر الشرف الذي جلبته له الفروسية. وعندما سأل تيرانت الناسك إن كان فارساً في سابق عهده، بدأ يشير إلى ذلك الفارس الشهير والمنتصر في المعارك، الكونت جييرمو دي فوريك " وقال: لقد مضت خمسون سنة منذ أن تم تنصيبه فارساً في أفريقية في معركة عظيمة مع المسلمين ثم سأل البريطاني الرجل المقدس أن يكشف له عن أسرار ومبادئ الفروسية "

فقال الناسك وهو يأخذ كتاب "شجرة المعارك" يا بني إن قواعد وأصول الفروسية يتضمنها هذا الكتاب وبدأ يقرأ لزائره من الكتاب ويشرح له (من الفصل ٣٢ وحتى فصل ٣٧) أمور الفروسية وأصولها ودلالات الأسلحة الهجومية والدفاعية والشعائر والطقوس التي تقلل من شأن الفارس. ولقد خيب رجاء الشاب أن يسمع أشياء كثيرة عن جييرمو دي فوريك وطبقات الفرسان اللامعين وهو لم يره قط ولم يعرف عنه شيئاً.

وبينما يهم تيرانت بالرحيل، طلب منه الناسك أن يعود بعد انتهاء احتفالات الملك وأعطاه الكتاب ليأخذه معه. ولحق النبيل برفاقه البريطانيين وهم من عشيرته وحضروا للمشاركة في احتفالات البلاط الملكي طول السنة ويوم. وبعد ذلك، التزم بوعده في أن يعود إلى الناسك، وفي هذه المرة أحضر رفاقه معه.

في الجزء الثاني (الفصول ٣٢-٩٧) نقرأ حكايات وصول البريطانيين والحوادث المختلفة في احتفالات زواج الملك. وهذا الجزء يمكننا تجزيته إلى ثلاثة أجزاء:

^{١٤} نقصد بريطانيا أو بريتاني الفرنسية، وهي منطقة تقع شمال غرب فرنسا وليست (بريطانيا العظمى) هي باللغة اللاتينية بريطانيو "Britannia" وبالفرنسي "Bretagne". سوف نستعمل كلمة بريطاني دائماً لهذه المنطقة.

- الأول يتعلق بأوصاف المواقب والفنون الرائعة مثل صخرة حب إله الحب.

- الثاني يتضمن أحداثاً حقيقية يتوق الناسك أن يسمعها بشغف وخصوصاً المبارزات بالسلاح وعلى وجه الخصوص هوية الرجل الذي أعلن أنه بطل القصر. وكان ديافيبوس وهو ابن عم تيرانت يسرد هذا الجزء من القصة وذلك لأن تيرانت كان متواضعا جداً في أن يكشف بأنه هو نفسه " الذي ظفر بالمجد والشرف على جميع الفرسان".

- الثالث يتضمن ما رواه ديافيبوس أيضاً، وكانت أموراً تتعلق بنظام الأوسمة بما في ذلك الأسطورة الشهيرة لأصل الأخوة. ويمكن استخلاص أن هذه هي أول حكاية أسطورية نجدها في الرواية، ويقترح مارتي دي ريكير أن مارتوريل ربما عرف هذه القصة من الملك هنري السادس نفسه¹⁵.

ويجب أن نذكر بأن المؤلف استخدم مصادر في قصة " جييرمو دي فوريك " احتفالات القصر خلال سنة ويوم " لأن هذه الاحتفالات هي أكثر الأقسام اشتقاقاً من الرواية. وكما سبقت الإشارة أن المصدر الأصلي للأعمال البطولية الفروسية لجييرمو - أول فصل ٢٧ من رواية تيرانت - هي بعض نصوص من قصة " جوي أف وريك " " Guy of Warwick " والتي استخدمها مارتوريل سواء في رحلته الموثقة إلى إنجلترا في عام ١٤٣٨-١٤٣٩ أو في رحلته الافتراضية في عام ١٤٥٠-١٤٥١. وقد استخرج المؤلف من هذه القصة جزءاً يتناول الأحداث الأخيرة في مهنة البطل.

في الحكاية الأصلية كان جاي الراشد، والمتزوج حديثاً من فيليس، قد تاب عما فعله في مطلع حياته وقرر أن يمضي إلى القدس للحج. وفي أثناء غيابه قام الدنماركيين بغزو إنجلترا. وعندما عاد جاي طلب منه الملك أن يقاتل عملاقاً يدعى كولبراند بطل الدنماركيين. ووافق جاي على مضض وقتل العملاق، وبعدها غادر الغزاة الجزيرة. وبعد ذلك أفصح عن اسمه وفارق الملك وانطلق

¹⁵ Martí de Riquer, "Joanot Martorell i el Tirant lo Blanch." En *Historia de la literatura catalana*. Esplugues: Ariel, 1965, 2: 632-671. Reeditado en 1970, pp. 36-38.

[راجع ريكير (١٩٧٠): ٣٦-٣٨.]

إلى دير مهجور وعاش فيه أيامه الأخيرة. ورغم أن مارتوريل لم يكرر هذه القصة الأدبية – من بين التغييرات التي أحدثها استبدال المسلمين بالديمركيين – ولكن جبيرمو وجاي كانا متساويين في القرار المفاجئ في الذهاب إلى القدس إلى الدخول النهائي إلى الدير.

ولكن مارتوريل لم يُسهب طويلاً في رواية "جوي أف وريك" وهو العمل الذي يُعتبر نتيجة مباشرة لرحلته أو رحلاته إلى إنجلترا. ولكن عند عودته إلى بلنسية أخذ عن رواية لرامون لول^{١٦} (كتاب نظام الفروسية) وأضاف منه إلى ما كان يفعله فعلاً: على سبيل المثال الملاحظات عن جاي وهذه الإضافة كانت عملاً بارعاً لمقدمة (كتاب نظام الفروسية) الذي يحكي حكاية فارس عجوز آخر اعتزل الحياة في دير. وفي أحد الأيام بينما كان فارس لول يفكر بجانب بئر، اقترب منه شاب يمتطي فرساً. كان الشاب نائماً، فحاد حصانه عن الطريق ليُشرب من البئر. وعندما انتبه الشاب تبادل التحية مع الفارس الناسك، والذي بدأ يُعلِّمه أموراً تتعلق بالفروسية وهي أمور تُكوّن باقي تفاصيل كتاب لول. وهكذا فإننا نجد أن هناك تداخلاً في الموضوعات من مصدرين مختلفين، كتاب نظام الفروسية لرامون لول ورواية "جوي أف وريك".

وبعد سنوات، وعندما استعد الكاتب لبدء تأليف تيرانت لو بلانك بدأ يتوسع ويضيف تفاصيل أخرى تذكره لأمر المجاملة التي شاهدها في القصر الملكي خلال فترة إقامته في إنجلترا.

ولا بد أن نلاحظ أنه في أثناء أحداث "احتفالات القصر لمدة سنة ويوم" يستمر السرد في إطار أخذ عن (كتاب نظام الفروسية) والقسم الثاني من الرواية هو أقل اعتماداً على مصادر من القسم الأول. وبالتالي فهنا، في سرد احتفالات الملك فإن المؤلف بدأ يظهر باعتباره شخص مستقلاً، يتحدث بأكثر قوة وبتلقائية ويطور اهتماماته ويظهر أضواءً على تلك الصفات السردية، الواقعية والفكاهة، والتي أبعدته عن الكتاب الرومانسيين في أيامه. وقد وصف مواكب الزواج بتفاصيل رقيقة ومتضمنة أسلوباً سلساً لكل الطبقات: الراهبات

^{١٦} رامون لول (١٢٣٢-١٣١٥) (Ramon Llull) هو فيلسوف كتالوني، من أسرة ميسورة الحال. ولع بالشعر، ثم انضم إلى رهبنة الفرنسيسكان. انكب على دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، قاصداً دعوة المسلمين إلى المسيحية. سافر من أجل ذلك إلى شمال إفريقيا أكثر من مرة، ولقي حتفه هناك. حاضر في باريس، ومر بمونبلييه ومايورقا. حاول في مؤلفاته، وخاصة «الفن الأكبر»، أن يدافع عن المسيحية ضد الإسلام وضد فلسفة ابن رشد. كان ذا نزعة صوفية عميقة، وله منهج رمزي دقيق.

والفرسان والحدادين والنساجين والأرامل والصبايا غير المتزوجات والعاهرات اللاتي يصاحبهن القواد ويرتدين " أكاليل من الورود أو النباتات العطرية". والمسألة التي تتعلق بالسيد دي لاس فيليسرميس مثال آخر على زيادة استعراض المهارة.

وهذه الواقعة قصة مكتملة وتتضمن درجة من الاهتمام النفسي، السيد دي لاس فيليسرميس لم يكن واحداً من خصوم تيرانت المتعجرفين ولكنه رجل نبيل ومثير للشفقة وقد أثار السخرية بعناده في إخلاصه لعاشقة جاحدة.

٤. الجزء الثالث: (الفصول ٩٨-١١٤)

الجزء الثالث من رواية تيرانت لو بلانك وهو أقصر الأجزاء، يتحدث عن مغامرات الفارس تيرانت لو بلانك في جزيرة صقلية وجزيرة رودس. يتخلل هذا الجزء مسألتان رئيسيتان:

- المسألة الأولى وهي إنقاذ فرسان رودس من المسلمين. فقد رحل تيرانت عن إنجلترا ووصل إلى بريطانيا وسمع خبراً من اثنين من الفرسان في قصر ملك فرنسا أن سيد رودس العظيم قد حاصرته سفن جنوة^{١٧} وجيش سلطان القاهرة^{١٨}. والفرسان المسيحيون في هذه الأوضاع السيئة قد اضطرتهم الظروف على أكل لحم الخيول والقطط وأخيراً الفئران. وعندما لم يستجب أي من سادة الممالك المسيحية لاستغاثة السيد للنجدة، جلب تيرانت سفينة وحملها بالمون وبالطعام والشراب لنجدة الفرسان الجائعين وبشجاعة نادرة قام بمناورات أدهشت أسطول جنوة حتى وصل إلى الجزيرة. وبعد توزيع المواد والغذاء، تقدم أحد بحارة تيرانت بخطة صعبة ليضرم النار في سفينة قائد أسطول جنوة. ونجحت الخطة وأمر سلطان القاهرة المرعوب رجاله بمغادرة الحصار والعودة إلى بلادهم.

^{١٧} جنوة بالإيطالي Genova، مدينة وميناء بحري تقع في شمال إيطاليا، وهي وعاصمة إقليم ليغوريا.

^{١٨١٨} يقصد هنا الكاتب سلطان ممالك مصر وكان من يحكم مصر في هذا الوقت الظاهر سيف الدين جقمق (١٤٣٨-١٤٥٣)، حاول هذا السلطان إخضاع واحتلال جزيرة رودس التي أصبحت قاعدة للفرسان الإسبتاريين الصليبيين بعد إخضاع جزيرة قبرص في عهد السلطان برسباي في عام ١٤٢٦. وقد سبر السلطان إلى الجزيرة ثلاث حملات بحرية حيث فشلت الحملات الثلاثة عام ١٤٤٠ و ١٤٤٣ و ١٤٤٤ م في فتح الجزيرة.

وبدت مسألتان تستحقان الربط بينها مع الحادث ألا وهو انطلاق تيرانت لنجدة السيد من خلال القيام بما نسميه أداء عمل مثالي في الرواية: قيام فارس شهم بإنقاذ حاكم عاجز. ولقد رأينا ذلك واضحاً في النموذج الذي وضعه " جييرمو دي فوريك " حيث قدم جييرمو قدرته ومهارته إلى ملك انجلترا المرهف. وتتكرر الحكاية فيما بعد في خدمات تيرانت إلى إمبراطور القسطنطينية العجوز وبدرجة أقل، مع ملك تلميسان. والنقطة الثانية وهي حادثة رودس لها أصل تاريخي في حصار الجزيرة من قبل القوات المصرية في عام ١٤٤٤م. وهذه الحادثة قد انتشرت في بلنسية -أصل تلك المدينة تتألف من حصّة معقولة من سكان رودس- وقد استفاد المؤلف من معلومات غزيرة عن هذا الطريق. وقد اشير إلى أن أعمال تيرانت العسكرية في هذه الحادثة تركز على فارس بورجنيديان الذي تدخل في الحصار.^{٢٠}

- المسألة الثانية - وهي الأهم - كانت تتعلق بالحملات الأجنبية والتي كانت السبب في علاقة فيليب مع وريكو مانا وربما أكثر دقة شخصية فيليب ذاته - طالما أنه دليل على أن المؤلف واثق بنفسه ويسعد في توضيح وتفسير خصوصيات ابن ملك فرنسا. أظهر فيليب كشاب أخرق بلا طعم ولا ذوق وكانت أكثر صفاته غير مناسبة بالنظر إلى وضعه، كان يفتقر إلى تلك الشهامة التي يظهرها تيرانت في رفضه لكل الألقاب إلا واحداً: قيصر الإمبراطورية اليونانية. لم يكن فيليب شريراً في الأساس وبالتالي تعلم طريقة المجاملة اللطيفة من تيرانت الذي لم يكن أشجع الفرسان فقط ولكنه كان أكثرهم علماً ودراية.

لقد ساعد تيرانت فيليب - بدلاً من إنقاذ الحاكم العاجز " سالف الذكر - فقد توجه لمساعدة الخطيب الملكي وفتح الطريق لكي يغازل ريكومانا ابنة ملك صقلية. لقد كان لسان فيليب معقوداً بلغة الحب، عندما تأتي الأميرة وتتحدث معه ببعض الإشارات الذكية لم يكن يعرف كيف يرد عليها. ورغم أن تيرانت قد بذل كل ما في وسعة لتعليم أفضل أنواع الكلام لصديقه، فقد ظلت ريكومانا غير مقتنعة بقدرة الشاب ووضعت له عدد اختبارات. فاخبرته في طريقة الجلوس إلى

^{١٩} أنظر كتاب يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة ٢٠٠٥. قال فيه: " في يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول خرجت الغزاة من القاهرة، فنزلت في المراكب من ساحل بولاق؛ وقصدوا الإسكندرية. ودمياط، ليركبوا من هناك البحر المالح، والجميع قصدهم غزو رودس، وكانوا جمعاً موفوراً، ما بين أمراء وخاصية ومماليك سلطانية ومطوعة "

^{٢٠} راجع ريكور (١٩٧٠): ٤٣-٤٥

الطعام والمائدة واختبرت استعداداته لتلويث ملابسه من أجلها واختبرت نبل أخلاقه وهي تعرض عليه أن ينام في سرير متوسط أو سرير فخم. في كل من تلك الأمثلة المضحكة فشل فيليب فشلاً ذريعاً لولا تدخل تيرانت أو على الأقل في حالة الأسرة، فهي محض حظ. (فعندما حاول بدون قصد ترتيب الفراش غير المرتب فقد أخطأت ريكومانا في تفسير حماقاته على أنها ترفع عن الأمور التي لا تستحق) ولكن أكثر الاختبارات وضوحاً كان عندما اجتمعت ريكومانا مع فيلسوف "كالابريا".

ومثل أسطورة الرباط ومغامرات الفروسية التي قام بها جبيرمو، فإن حادثة الفيلسوف تتألف من عناصر منفصلة استطاع المؤلف أن يضعها في أسلوب سردي. فالفيلسوف الذي جاء لتقييم "طبيعة فيليب" تعرض لمشكلات عقب وصوله إلى صقلية. فبسبب جريمة القتل الوحشية أُلقي به في السجن وظل يعيش على حصة يومية من أربع أوقيات من الخبز وأربعة أقذاح من الماء. وبينما كان في السجن تنبأ بأن صديقاً آخر له سوف يُطلق سراحه في غضون نصف ساعة. وتحققت النبوءة وأطلق سراح الفارس بعد ذلك ليحكى عن براعته للملك، الذي اشتدت رغبته في أن يعرف سبب تشوه الحصان الجميل. وبعد ذلك أطلق الملك سراح الفيلسوف ولكن بعد أن فسر الأخير سبب تشوه الحصان أعاد الفيلسوف مرة أخرى إلى السجن وضاعف له حصته الضئيلة من الخبز والماء. وبعد انقضاء فترة تكررت حادثة أخرى. عندما أراد الملك أن يعرف قدر الياقوتة وقيمتها الرائعة فأخرج عن الفيلسوف والذي وفر لجلالته قدراً كبيراً من المال من خلال تقييمه للجوهرة بأنها لا تساوي شيئاً. ولكنه مرة أخرى وبعد تفسير قيمة الجوهرة أعاده الملك مرة أخرى للسجن وضاعف له الخبز والماء. وعند هذا الحد أعلن الفيلسوف الحاذق بأن الملك ابن زنا (مشكوك في أصله)، وهذا تفسير حرفي وعندما طلب العاهل الصقلي تفسيراً لما قاله جاءت ردود الفيلسوف الكالابري بهذا الشكل:

"سيدي، إنه شيء طبيعي، فالجشُّ قادرٌ على اكتشاف المسألة ولهذه الأسباب. أولاً: عندما ذكرتُ لجلالتك سرَّ عيوب أذان الحصان (فلا يوجد إنسان في القصر قادر على فهم هذه المعلومات)، وقد كافأتني بأربعة مقادير من الخبز. ثم سيدي، عندما جاءت مسألة الياقوت الأحمر. وراهنْتُ على حياتي وخاطرْتُ بما معي من أموال، وبعدما أعطيتُك الياقوتة وهي من المفروض أن تكون حقي وأخيراً وفرتُ عليك أن تُخدعَ وتدفعَ مبلغاً كبيراً لشراء الياقوت الأحمر. لكل هذه الأعمال من ناحيتي كان يجبُ أن تُخرجني من السجن وتُنعَم علي ببعض

الأفضل ! ولكن الفضل الذي نلته منك كان الخبز. وهذا السبب الطبيعي الذي توصلت منه إلى أن جلالتم ابن خباز ولست ابن ذلك الرجل الكريم الشجاع الذي نعمله في ذاكرتنا، الملك روبرت²¹."

وبعد هذا الاستطراد اللطيف فأول جزء من الحكاية مأخوذ من حكاية سجن يوسف الإنجيلي أثناء تفسيره أحلام كبير الخدم والخباز وثانياً فيما يخص أن الملك ابن زنا فهي مأخوذة من الترجمة الإيطالية لقصة ألف ليلة وليلة فقد استرجع مارتوريل الفيلسوف إلى دوره الحقيقي باعتباره لشخصية فيليب²². وعندما خرج الفيلسوف من السجن طلب رؤية فيليب شخصياً ثم سجل تقريره كما يلي: سيدتي إن هذا الخطيب الذي طلبت مني مراقبته، مكتوب على جبينه أنه رجل مهرج أحمق. وسوف يسبب لك مشاكل لا تحصى. ولكنه مازال أشجع الرجال ومتأهباً للقتال وسيموت ملكاً."

وفي نهاية المطاف، وبعد أن استطاع فيليب أن ينجح في اختبار السريرين، وصلت مسألته مع ريكومانا إلى نهاية سعيدة. فقد بذل تيراننت جهوداً طويلة في ترتيب هذا الأمر وفي النهاية تزوج فيليب من ريكومانا، وريكومانا نالت زوجاً فاضلاً واستطاع فيليب أن يكون ملكاً. أما بالنسبة لملاحظات الفيلسوف، فقد انتهت ريكومانا إلى أنه " لا يعرف كثيراً كما كانت تعتقد، " بمعنى، من وجهة نظر مارتوريل على الأقل، أنها كانت على صواب. فقد تكررت فكرة "الأفعال هي أهم من الأقوال" خلال العمل.

إن مرحلة فيليب وريكومانا يجب أن تُرى على اعتبار أنها محاولة من الكاتب لرفع من قدر تيراننت. فالبطل قد برهن على قوة شكيمة في إنجلترا ورودس. وهنا بالإضافة، فإن مارتوريل قد وضع بسالة تيراننت ولطفه وقدرته على معرفة كثير من الأمور ليكون في مرتبة أعلى من أي إنسان حتى لو كان ابن الملك نفسه، وذلك ليكون مثالياً. " لقد قالت كارميسيا بعد وفاته " لقد كان يفتقر إلى بعض قطرات الدم الملكي". حتى بدون هذا الدم الملكي فإنه بالتأكيد في نظر الكاتب أفضل من آخرين من سلالة أرقى وأسمى. وليس هذا مجرد أن نقول إن المرء ينحدر من حدود طبقته، وذلك لأنني أعتقد بأن مارتوريل نفسه باعتباره أرستقراطياً لم يقصد أن ينادي بالمساواة الكاملة بين الجميع. ولكن ما فعله هو رفع بطله إلى أعلى القمم قدر الإمكان، وذلك على الرغم من أن تيراننت لم يحتو دمه على أية قطرة من دم ملكي، وبالتالي أعده ليصبح زوجاً

لابنة إمبراطور القسطنطينية. فلم يكن على النقيض بأن مارتوريل يغازل طبقته أيضاً ويبرر مكانته باعتباره فارساً وعضواً في نبل الطبقة الوسطى.

٥. الجزء الرابع والخامس: (الفصول ١١٥-١٦٧) و (الفصول ١٦٨-٢٩٦)

على الرغم بأن قسماً من رواية "تيرانت لو بلانك" تناول خدمات البطل لإمبراطور القسطنطينية وقد يُعتبر قسماً خاصاً، لكن يمكننا أن نقسمه إلى جزأين: "الحب والحرب في خدمة الإمبراطور" و "أحداث في القصر الملكي". وأول هذه الأجزاء (الفصول من ١١٥-١٦٧) بشكل واسع ولكنه حصري إذ تهتم بالمناورات العسكرية المختلفة لتيرانت في قهر أعداء الإمبراطور. والثاني (الفصول من ١٦٨-٢٩٦) وهي تعالج مسائل خارجية أقل ومسائل حساسة: مناظرات واحتفالات ومكاند جنسية ومؤامرات الأرملة ريبوسادا.

ولقد بدأت خدمات تيرانت للإمبراطورية اليونانية مع بدايت خدماته لفرسان رودس. ففي خلال تواجده في قصر ملك صقلية قرأ خطاباً قد وصله مؤخراً من الإمبراطور. تقول الرسالة "إننا نُبلغ سموكم بأن السلطان، ذلك المتمرّد المسلم قد غزا إمبراطوريتنا بجيش عظيم وبصحبة التركي العظيم. وقد استولوا على معظم إمبراطوريتنا وليس أمامنا الكثير مما نفعله، فأنا لا أستطيع حمل السلاح لأنني في سن متقدمة" وقد بلغت شهرة تيرانت أفاقَ العاهل الإمبراطوري، فقد مضى الخطاب بهذه الطريقة: "إني أطلب، قسماً بإيمانك وحبك والخير نحو الله والفروسية بأن تتوسل لتيرانت أن ينضم إلى خدمتي وسوف أعطيه من خيراتي كل ما يتمناه." وتوسل ملك صقلية لتيرانت بأن يقبل هذا الطلب، وافق الفارس بكل سرور وزوده ملك صقلية بإحدى عشرة سفينة للحملة.

وعندما وصل تيرانت إلى القسطنطينية وجد المدينة في حالة حزن وعزاء شديد وذلك لموت ابن الإمبراطور. ولكن سرعان ما عادت البهجة والسرور إليهم جميعاً عند رؤية السفن وسمع الإمبراطور أخبار الوصول وأحس وكان ابنه قد عاد إلى الحياة مرة أخرى. فعين تيرانت كبير القضاة والأهم من ذلك فقد عينه القائد العام للقوات الإمبراطورية. وعلى الفور بدأ هذا الأجنبي الشجاع باستعادة الإمبراطورية وهي مهمة ثقيلة (وخصوصاً إذا عرفنا أنه أحضر معه فقط ١٤٠ فارساً ونبيلاً) الأمر الذي عقّد الأمور أكثر على دوق مقدونيا الذي كان يتمنى لنفسه لقب القائد العام. فهذا الدوق الخائن الذي اختلق الذرائع لقتل ابن الإمبراطور وفعل كل ما بوسعه لتحطيم جهود تيرانت وأخيراً حاول قتل القائد، وهي محاولة كلفته حياته. ونظراً لأن قوات تيرانت كانت تقل كثيراً عن قوات

الأعداء ولذلك بدأ في التحايل والمؤامرات والتي سوف أذكر منها حيلة واحدة فقط. فقد حاصرت قوات المسلمين دوق مقدونيا الغر - القائد - وهو يتمتع بدهاء أكثر من القوة " كما وصفه ديافيبوس، فجمع أعداداً كبيرة من الخيول وأطلقها منتشرة في كل الاتجاهات. وفي الارتباك هاجم رجال تيرانت من مدخلين وبالتالي تحقق النصر بسهولة واخترقوا الحصار.

ويجب ملاحظة أنه في هذا الجزء نجد براعة الاستراتيجي والتكتيكي فقد كان تيرانت يحذو حذو النموذج الذي وضعه " أبو الفروسية " جييرمو دي فوريك، ونذكر ذات مرة، أنه هزم المسلمين بمعرفته الفنية بالقذائف اليدوية. وعندما تحول جييرمو إلى ناسك طرح سؤالاً على البريطانيين وسألهم قائلاً: أيهما تفضلون أن يكون المرء قوياً ولكن يفتقر للذكاء والحيلة أو أن يكون بارعاً جداً وحاذقاً وليس قوياً؟ فانقسم الفرسان حول المسألة ولكن في كثير من الفصول التالية قدم الإمبراطور رأياً نهائياً حول مسألة مماثلة تشمل المزايا النسبية للحكمة والشجاعة. عندما قدم مستشار الإمبراطور قرار المحكمة الذي يفصل في الخلاف بين الإمبراطورة وابنتها في مسألة الحكمة والشجاعة وقال في (الفصل ١٨٦) "نحن بموجب هذا فإننا نعتبر أن، الحكمة هي أعلى وأنبل وأعلى نعمة منحها الرب والطبيعة للإنسان، كما أنها مصدر كل فضائل الجسم وبدون الحكمة فلن يساوي الإنسان شيئاً، والحكمة مثل الشمس التي تعطي الضوء للكواكب والنجوم والأرض، لذلك فإن الحكمة تسيطر على كل الفضائل وتتألق في العالم أجمع، إن الحكمة بالتالي يمكن أن تكون الرب الأعلى."

ولذلك جييرمو وبعده تيرانت هما أكمل الفرسان لأنهما بالإضافة إلى شجاعتهما فإنهما ينعمان بالحكمة " أو " الدهاء " وهي صفة يتمنى أن يضعها مارتوريل في مكانة بارزة في فضائل الفروسية. في حين أن الفرسان الفاترين يفقدون عقولهم عند الانتظار (كان ديافيبوس ضيق الصدر من الانتظار في موقعه بين الأحرار) أما تيرانت (حتى عندما كان في أحلك الظروف وفي سكرات غرامه الشديد، لم يُخطئ بل كان دائماً يقوم بالحسابات ولم يكن عفويًا مطلقاً.

وأول إشارة من الفجور الجنسي والتي عُرفت بها الرواية لم تظهر في القسم الذي يتناول خدمات تيرانت للإمبراطور ولكن في الصفحات الأخيرة من العلاقة بين فيليب وريكوماننا. وبعد أن وافقت الأميرة بالزواج من الخطيب الشاب، قام تيرانت بزيارتها وإدعى بأن معه بعض الأخبار التي يود أن يذكرها أمام فيليب.

توصل تيرانت إلى الأميرة أن تطلب من وصفاتها الابتعاد قليلاً لأنه يريد أن يقول لها كلاماً أمام فيليب. وطلبت الأميرة من وصفاتها الخروج. وعندما رأى تيرانت الصبايا يغادرن المكان فتح تيرانت الباب وسمح بدخول فيليب. تحرك تيرانت بسرعة إلى فيليب وبسرعة أخذها فيليب إليه وحملها إلى الفراش وراح يقبلها خمس أو ست قبلات. "ولكن هذه القبلات لم تشبع البطل الذي استمر في تحريض الأميرة " على أن تشفق على هذا الفيليب المسكين الذي يموت شوقاً لها.

وأخيراً أمسك تيرانت بيديها في حين حاول فيليب أن يفعل كل ما يستطيع أن يفعله. وصرخت الأميرة واندفعت وصفاتها إليها وعاد السلام والهدوء بينهم جميعاً ومضى الرجلان في هدوء وكأنهما خادمان مخلصان" والعناصر الأساسية لهذا المشهد هي- اتجاه المراوغة والمشاركة للطرف الثالث باعتباره قواداً، وتناقضات الفتاة، والرغبة في استخدام القوة من طرف البطل- ونجد أن الأبطال استعملوا القوة في كثير من الأحداث الجنسية في الأقسام المتعلقة بالقسطنطينية.

ومن خلال أول نظرة إلى ابنة الإمبراطور "كارميسينا" - والتي كانت - وبسبب حرارة الجو - ترتدي فستاناً مفتوحاً إلى حد ما - يكشف ثديها مثل تقاحتين من الجنة، وفيما يبدو مثل كرتين من البلور" وقد أحس تيرانت بأعراض مؤلمة كعاشق. انقلب إلى فراشه يكابد الهموم وعذابات أخرى لأنه مثل شخصية تشوسر في " ترويلوس" " قد ألقى سلفاً باللوم على أقاربه وأصدقائه حينما كانوا يتحدثون عن الحب. فكان يقول لهم " كل من أحب لا بد أن يصاب بالجنون. ألا تخجلون من أن تنحوا حريتك جانباً وتضعوا أنفسكم في أيدي عدوكم، من يجعلكم تهلكون قبل أن يرحمكم؟"

كان ديفاييوس يشبه إلى حد كبير بانداروس، الذي شجع صديقه ونصحه وأكد بشكل خاص على ضرورة أن تكون المراوغة مثل الحصافة وكأنه إنسان حكيم يجب أن يبحث ليخفي ميوله الشخصية ولا يكشف عن الامه وأحزانه التي تتصارع في رأسه.

" ترويلوس وكرميسينا: 1602 أحد رواع أسطورة الأند وويليام شيكسبير توصف هذه المسرحية عادة بأحد مسرحيات شيكسبير التي بها مشاكل، ليست بمأساة تقليدية .

في حين أن الوصيفتين المشتركتين ساهمتا في دعم الحب بين تيرانت وكارميسينا. إحداها استيفانيا وهي وصيفة ذكية كانت تقوم بتسليّة الأميرة بهذه الأشياء باعتبارها ملاحظات طبيعية بين النساء (أولاً قالت " وراحت تعدد النقاط التي سوف تنمقها " إننا جميعاً جشعون بخلاء. ثانياً لدينا شغف شديد بالعواطف. وثالثاً فإننا شهبانيين") ولكن وصيفة أخرى تدعي "بلاثيرديميفيدا"^{٢٣} كانت أبرع وأشجع من استيفانيا شاركت بإيجابية شديدة في الدفاع عن الأميرة المترددة وفي نفس الوقت تدفع تيرانت للتقدم. وتقول له " تيرانت، تيرانت " لن تنجح في المعركة عندما تعشق سيدة أو فتاة، ولن تفرض نفسك عليها بالقوة، وخصوصاً إن كنت تتردد في أداء عمل تريده، فإن كانت لديك آمالٌ كبارٌ وساميةٌ، وتعشق فتاة نبيلة يجب أن تذهب إلى غرفتها وتنام معها، سواء كانت عارية أو في كامل ملابسها، وتهجم عليها برجولتك فعندما تكون بين الأصدقاء ليس مطلوباً منك أن تتصرف بشكل رسمي. فإن لم تفعل ذلك هذه المرة، فلن أريد صحبتك بعد الآن، لأنني أعلم أن الفرسان، في استعدادهم وبسالتهم، قد اكتسبوا الشرف والكرامة، والمجد والشهرة من عشاقهم." (فصل ٢٢٩)

ووافق تيرانت على أن تقوده بلاثيرديميفيدا وتخفيه في دولااب الأميرة في غرفتها الخاصة، حيث يمكنه أن يتسلل إلى كارميسينا وهي تستحم. فإذا تعرت الأميرة تماماً، تمسك بلاثيرديميفيدا بشمعة منيرة بجانب الفتاة حتى تظهر بشكل أفضل، وتقول " قسماً بإيماني يا سيدتي لو كان تيرانت هنا ولمسك بيديه وبفس الطريقة فإنني أتصور أنه سيفوز بأكثر مما فعل معه ملك فرنسا" واستمرت بطريقة مازحة وهي تقول:

" آه سيدي تيرانت أين أنت الآن؟ لماذا لست قريباً منا حتى ترى وتلمس تلك الأشياء التي تحبها أكثر من أي شيء في الدنيا وفي الآخرة؟ أنظر سيد تيرانت، إلى شعر الأميرة سوف أقبل تلك الجداول باسمك، من أجلك أنت أفضل فارس في العالم. انظر إلى تلك العيون وهذا الفم سوف أقبلهما من أجلك أيضاً. هل لاحظت ثدييها الجميلين البلورين، وثدي في إحدى يديك. وهأنذا أقبلهما باسمك أنظر مدى حجمهما اللطيف القوي وبياضهما ونعومتها. أنظر تيرانت أنظر هنا إلى بطنها وإلى فخذيها وإلى موضعها السري! آه ما أتعسني آه لو كنت رجلاً حيث أتمنى أن أقضي آخر حياتي هنا! ولم لا تأتي أمامي عندما أدعوك

^{٢٣} معنى الاسم (بهجة حياتي).

بكل شفقة؟ أيادي تيرانت، دون غيره، هي الوحيدة التي تمرر هنا كما أمرر يدي. هذه هي اللقمة السانغة يسعد كل رجل أن يختنق بها!"

وبعد أن ذهبت الأميرة إلى فراشها، اصطحبت بلاثيرديميفيدا تيرانت من يده إلى غرفتها وجعلته ينام بجوارها. ووضعت الفتاة الذكية رأسها على الوسادة وهي تتظاهر بأنها نائمة بجوار كارميسينا. وهذا ما حدث:

"(بلاثيرديميفيدا) تأخذ يد تيرانت وتضعها على صدر الأميرة. يشعر بهما ويحرك يديه وينزل على بطنها ويتدرج في الهبوط إلى الأسفل.

انتبهت الأميرة وقالت: "لوجه الله يا لك من شخصية مزعجة! فقد أزعجت نومي"

" كم أنت رائعة مثيرة " قالت بلاثيرديميفيد ورأسها على الوسادة " لقد خرجت من الحمام وبشرتك ناعمة جداً وطرية وأحب لمسها."

فقالت الأميرة: " المسي حيثما تشائين ولكن لا تهبط يدك إلى أسفل. "

" هيا نامي ولا تقلقي ودعيني أتحمس جمال هذا الجسم الذي يخصني فأنا هنا في مكان تيرانت. آه أيها الخائن تيرانت أين أنت الآن؟ لو أن يدك في موضع يدي لشعرت بالسعادة الحقيقية!"

وضع تيرانت يده على بطن الأميرة بينما تحاول بلاثيرديميفيد أن تمنعه بيديها. وما أن نامت الأميرة أرخت بلاثيرديميفيد يدها وبدأ تيرانت يلمس جسد حبيبته كما يحلو له. فإذا انتبهت الأميرة، تضغط بلاثيرديميفيد على رأس تيرانت لتهدأ حركة يديه. وبقياً في هذه اللعبة لنحو الساعة، يلمس كل جسدها وقلبه راض وسعيد.

وعندما رأت بلاثيرديميفيد بأن الأميرة قد استغرقت في النوم أبعدت يدها عن تيرانت تماماً وأراد هو أن يجرب حظه ليرى إن استطاع أن يصيب ما يتمناه.

وسرعان ما انتبهت الأميرة وقالت وهي نصف نائمة " يا لسوء الحظ ماذا تفعلين الآن؟ ألن تسمح لي بالنوم؟ هل جننت، تحاولين عمل شيء مخالف للطبيعة؟"

ولكن سرعان ما انتبهت بأن هذه التصرفات أكثر من أن تكون تصرفات امرأة ولم تسمح بمثل هذا العمل مرة أخرى وبدأت تصرخ عالياً.

فقد يكون حدثاً على أساس مثل تلك الفقرات والتي وضعها المؤلف من حين لآخر بين أعمال عسكرية واهتمامات أخرى في الجزء الرابع والخامس من الرواية وثمة شيء من السرد الإباحي عند مارتوريل. فلا يحتوي النص على حكايات تفصيلية للنشاط الجنسي العادي، فقد بدا بأنه يسعى للتنوعات الحسية. ففي حادثة ذكرت بأنه (من بين أشياء أخرى) يعبث بإحياءات السحاقية وهو يقدم موضوع زنا المحارم لشأن خاص بين الإمبراطورة والشاب هيبوليتو. وبذلك فإن أحد النقاد أطلق على هذا الجزء من الكتاب " بأنه مزيج من روح الفروسية والبذاءة"²⁴ وعلى العكس من ذلك، أحس مارتو دي ريكير بأن مزاح وسخرية مارتوريل ظهرا في تلك الفقرات التي ذكرتها، للتخفيف من الإثارة الجنسية والحفاظ على روح العمل من الوقوع في المواد الإباحية. كما لاحظ أيضاً بأن حب تيرانت وكارميسينا له جانب رقيق ورائع²⁵. فالعاشقان منشغلان في لعبة الغزل وتيرانت قادر على استخدام أي قدر من الغزل المزدهر مثل استخدامه المرأة ليكشف حبه للأميرة " سيدتي تصوري أنك سوف ترين هنا قوة الحياة أو الموت بالنسبة لي " (فصل ١٢٧) فالإباحية الواضحة تسعى للتنوع - وكما يرى ماريو بارغاس يوسا في أكثر تقييم نقدي للرواية حتى تاريخه - وهي محاولة عدم اهتمام المؤلف بخلق عالم يضم كل مظاهر التجربة الإنسانية بما في ذلك أنماط الحب الغزلي والحسية والمتحفظ والحب الخجول والشرير وسفاح القربي وهلم جرا²⁶. وإلى حد ما فإن شجاعة الكتاب تعتبر نتيجة للصراحة المجردة أكثر من موضوعية البذاءة. فالأحداث الجنسية التي تتضمنها رواية "تيرانت لو بلانك ليست سينة أكثر من كونها ذات إشارة ضمنية، ولكن لم تظهر في أي قصص فروسية أخرى. لقد وجدنا الكثير من الجمل التي تحتوي على عبارات جنسية مثل " كانت كارميسينا قد غادرت الغرفة ولم يتمكن من لمس يديها بيديه، فمد تيرانت ساقيه وهزها تحت تنورة الأميرة ووضع قدمه بين فخذيها ولمس منطقتها المحظورة بحذائه." (فصل ١٨٩)

²⁴ Marcelino Menendez Y Pelayo, Originales de la novela. 2ª ed. Madrid: CSIC, 1954, 400-401. [أنظر مارسيلينو مينينديز بيلايو.]

²⁵ أنظر ريكور (١٩٧٠) ٨٩-٩١ و ٦٤-٦١.

²⁶ Mario Vargas Llosa, "Carta de batalla por Tirant lo Blanc." Rev. Occidente 70 [ماريو بارغاس يوسا] (1969): 9-12.

ولكن بعيداً عن الجنسية في هذا القدر من رواية "تيرانت لوبلانك" فالدروس الأخلاقية من الرواية ككل يجب مراجعتها إن لم يكن باختصار. فالقائد (تيرانت) هو رجل ذكي ومفكر استراتيجي كما رأينا. إذ يستطيع أن ينسحب في الوقت المناسب، فهو مكر مخادع كلما دعت الحاجة فإن وسائله وفنونه لا تشوبها شائبة، فهو دائماً يراقب خطواته، ويعيد تسليح الحراسة حول معسكره ويرسل الجواسيس إلى قلب مواقع العدو. فالحذر يمكن أن يكون أقل من أعمال البطولة إذا تم توجيهها لتأمين أغراضه الشخصية أو السياسية. وبعد أن عرض عليه المسلمون هدنة تستمر مائة سنة وسنة، أعلن تيرانت للأمرء في المعسكر بأنه من الأفضل استشارة الإمبراطور قبل تقديم القرار النهائي وشرح وجهة نظره بدهاء شديد. " لن يكون في صالحنا أن نقدم لهم أي رد قبل أن نستشير الإمبراطور، الذي يجب أن نحصل منه على الموافقة حتى لا نتعرض للتوبيخ إذا قاسينا من مشاكل تلك المغامرة." (فصل ٤٢٧) وفي هذه الحالة فإن رغبة تيرانت في حماية نفسه وبحثه عن الفائدة تبدو أكثر من كونها مخادعة، طالما أنه كان يريد أيضاً أن يلجأ للمشورة مع الإمبراطور لتكون ذريعة لزيارة كارميسينا. فقد ظل تيرانت محافظاً على هذه اليقظة الدائمة والصراحة في شئونه الخاصة بشيء من الموافقة الواضحة.

أما أقارب تيرانت فكانوا أكثر صراحة منه. ربما نذكر أن كارميسينا عندما كانت في فراشها وصرخت ولم تُرد السماح بمثل هذا التصرف من قبل تيرانت. وصلت هذه الضوضاء إلى أسماع الأرملة ريبوسادا والتي أثارت القصر. هرب البطل بسرعة والأميرة بدأت تختلق قصة بارعة لكل من هرع إلى غرفتها. في تلك الأثناء سمع ديافيبوس الضوضاء في القصر وكان يعلم بما يخطط له تيرانت في تلك الليلة وعلى الفور امتشق سلاحه وانطلق للإمبراطور يسأله عن سر هذه الجلبة والضوضاء. وعندما أجاب الملك العجوز بأنه لا يوجد ما يستحق الخوف إطلاقاً. عاد ديافيبوس إلى زوجته وهو يقول: "قسماً بسيدتنا لو أمر الإمبراطور برمي تيرانت في السجن لأخذت هذه البلطة وقتلته وقتلت كل من في خدمته. ثم تيرانت أو أنا نصبح إمبراطوراً." بلادة هذا الموقف قد باتت واضحة تماماً كما اعتقد. تيرانت وأقاربه وهم فرقة من الأجانب قد حضروا إلى هذه الإمبراطورية المعرضة للخطر لتقديم العون. ولكن من أجل المخاطرة بحياته أمام المسلمين، فالعقل العملي لتيرانت يتوقع أن ينال مكافأته من الأميرة ويقع في شرك الفضول السياسي والجنسي. في عيون رجل طموح فإن ابنة

الإمبراطور الجميلة قد أضافت بعداً ليكون ولياً للعهد بعد عودة تيرانت من القسطنطينية، وتفتح والدها بتغيير لقبها من إنفانتا إلى أميرة.

ونرى أن تيرانت كان يحاول فرض الأمر من خلال، ازواجية كارميسينا، ما يمكن أن نطلق عليه اغتصاباً. فالإمبراطور رغم أنه يعاني من خرف الشيخوخة، فقد أراد حماية ابنته الشابة من أي أذى أو أخطار قد تتعرض لها. ولكن كان هناك توغل من جانب أولئك الأجانب (أقارب تيرانت) في الإمبراطورية، وقد أوشك ديافيوس على قتل العاهل الإمبراطوري للدفاع عن تيرانت.

الطموح للاستيلاء على التاج كما سمعنا من ديافيوس - بطبيعته الخشنة أكثر من تيرانت - يقر صراحة، أن يتحول إلى مؤامرة صريحة. وبعد تعاقب موت البطل تيرانت (قيصر الإمبراطورية) الإمبراطور وكارميسينا، اجتمع أقارب تيرانت جميعاً لتأمين مصالحهم. أما الفارس هيبوليتو الذي طال انغماسه في المتعة مع الإمبراطورة العجوز، يعزيها ويسري عنها ببراعة عن فقدان زوجها وابنتها، ويقبلها " ليقدم لها العزاء والسلوى ويذكرها بحبهما المتبادل. "وأنت يجب ألا تفكري " يقول المؤلف " أن هيبوليتو كان يكابد طوال هذه الفترة، فما أن توفي تيرانت راح يفكر في النتائج بأنه سيكون الإمبراطور وحتى بعد التأكد من وفاة الإمبراطور وابنته، طالما أنه واثق من الحب العظيم الذي تكن له الإمبراطورة وثقتها فيه وسوف تدفع الخجل والعار جانباً وتتخذ زوجاً وابناً لها. " وبعد ذلك اجتمع هيبوليتو مع الآخرين من عائلة تيرانت ليذكرهم بما يجب عمله:

" حتى لو أنها (الإمبراطورة) وفي السنوات المقبلة، فإن أميراً عظيماً سوف يتزوجها طواعية ويعتبر ذلك بركة ليصبح إمبراطوراً " ثم بعد وفاتها يظل ملك الإمبراطورية وقد يسيء معاملة الأجانب، وهم نحن. ولهذا السبب فإني أعتقد بأنه من الصواب والرأي الراجح أن نقرر مساعدة أحد منا ليكون إمبراطوراً وبدوره يمنحنا كل شيء بسخاء "

ويصحح هيبوليتو في تقييمه. فإن الإمبراطورة تفتقر إلى القدرة على السيطرة على الإمبراطورية بنفسها، وإجمالاً فإن شخصاً ما، بلا شك، من هذه البلاد سوف يخطط للزواج منها " ليصبح الإمبراطور " فمثلاً لنفس السبب ما يريده هيبوليتو. وعلى الرغم من أن المتأمرين أنانيون في حماية مصالحهم يظفرون بتحقيق أهدافهم.

كما يجب أخيراً ملاحظة أن المؤلف في القسم الرابع والخامس من رواية " تيرانت لو بلانك " لم يعد كاتباً من العصور الوسطى الذي بدأ عمله الروائي

من خلال وضع المختارات الأدبية من أحكام أعلى. فقد أصبح مارتوريل روائياً ناضجاً قادراً على الإطناب السردى البارع. فقد حافظ على سلاسة استمرارية، نجد مشهد الأميرة، والإشارة التحذيرية عندما كان تيرانت في فراش كارميسينا فقد أدت إلى حادثتين مختلفتين وكتلتهما ناجحة. إحداها وقعت عندما حاول تيرانت الهروب وسقط من الحبل ووقع في حديقة القصر وانكسرت ساقه، في تلك الحادثة ولم يشأ أن يكشفه أحد وتحاول ليبدو وكأنه شبح -للفارسين الذين جاءا يبحثان عنه- هيبوليتو والفيكونت النبيل. والحادثة الثانية التي شملت حكاية اخترعتها كارميسينا لكي تبرر صرختها احتجاجاً. فقالت للإمبراطورة " سيدتي، لقد قفز فأر على فراشي وجري على وجهي وقد أزعجني حتى أنني صرخت وكأنني فقدت كل إحساسي."

فهذه القصة التي اختلقتها عن الفأر تكررت مرات عديدة في هذا القسم وأصبحت في حد ذاتها فكرة رئيسية. وعندما قالت الأرملة ريبوسادا بحقد أن تيرانت قد مات من سقوطه، فصاحت كارميسينا مرة أخرى مسببةً للإنذار ثاني. فهذه المرة قالت السيدات للإمبراطور

"سيدي، لقد رأيت فأراً آخر فأراً صغيراً وطالما أنها تتذكر الفأر الأول الذي جرى على فراشها فزاد قلقها" وهذه السخریات العديدة تتضمن في هذا الاختصار اللاذع بتشبيه تيرانت بفأر صغير. ثم بعد ذلك عندما كان تيرانت عاجزاً بسبب انكسار ساقه ويحتاج لرسول ليسلم خطابات إلى الأميرة، فقام هيبوليتو بالوساطة ونقل تلك الرسائل بينهما. ففي تلك الفترة واجه الفارس الشاب الإمبراطورة التي جاءت أيضاً لزيارة كارميسينا وبالتالي بدأ مارتوريل في إعادة صياغة معقدة لأسطورة " فيدرا"^{٢٧}، وبدأت علاقة حب بين هيبوليتو وعشيقة العجوز. فنرى بأن كل شيء متلائم في الحوادث التالية باعتبارها نتيجة طبيعية للحدث السابق دون إظهار أي اهتمام إلا باستطراد الأحداث كما حدث مع " فيلسوف كالاباريا". وبلا شك فإن المؤلف استفاد بشكل كبير من تعلمه في الأجزاء السابقة " جييرمو دي فوريك " و " الاحتفال في القصر لمدة سنة ويوم".

^{٢٧} اسطورة فيدرا تنتمي الى الميثولوجيا اليونانية القديمة. وقد تم تناولها من قبل الكثير من الكتاب على امتداد خط الزمن.. فقد تناول " يوربيدس " الأسطورة ذاتها وكتبها لأول مرة نصاً مسرحياً بالاسم نفسه في عام ٤٢٨ ق م. الاسطورة ذاتها تروي عن وقوع فيدرا زوجة تيزيه ابن ايجيه ملك أثينا في غرام " هيبوليت " ابن تيزيه وانتوب زوجة الملك الأولى.

٦. الجزئين السلس والسليح: (الفصول ٢٩٧-٤١٢) و (الفصول ٤١٣-٤٨٧)

الجزء السادس يمكن أن نقول بأنه جزء المغامرة في أفريقية تدور أحداثه في شمال أفريقية، أما الجزء السابع فتدور أحداثه حول استعادة الإمبراطورية اليونانية.

"المغامرة في أفريقيا" وهي حلقة كبيرة تم إدراجها في الرواية بعلاقة بسيطة لباقي القصة، وربما تقارن بشكل ظاهري بحكاية تريسترام في "وفاة الملك آرثر"^{٢٨} حيث مالوري يقاطع حكاياته عن فرسان كوميلوت ليروي مغامرات جديدة في كورنويل. فإن أحداث الجزء السادس من رواية "تيرانت لو بلانك" تقع في شمال أفريقيا والتي يصل بطلها بالصدفة بعد أن تحطمت سفينته في البحر بسبب الرياح العاتية. وقد تعثرت السفينة بالقرب من شاطئ البربر، واختبأ تيرانت في كهف حيث اكتشفه قائد المسلمين الذي كان سفيراً لملك تلمسان. وقد أذهل القائد المظهر النبيل للفارس الجريح، وعرض عليه أن يأخذه في خدمته. وسرعان ما أظهر تيرانت مرة أخرى الأداء المخادع والشجاعة في الأعمال العسكرية وظفر بانتصارات لملك تلمسان وابنته الجميلة ماراجدينا. فلم يكن ملك تلمسان جباناً في شن حرب مع سيكاريانو ملك اثيوبيا والذي طلب الزواج بماراجدينا حتى لو كانت فعلاً خطيبة ابن القائد. نجح سيكاريانو ملك اثيوبيا الحازم في قتل والد هذه السيدة وخطيبته بعد ذلك. لم تتأثر كثيراً ماراجدينا والتي أصبحت ملكة تلمسان بعد مقتل أبيها لأنها كانت تكنّ بمشاعر وعواطف لتيرانت. فقد أعلنت بنفسها للفارس المسيحي وطلبت منه أن يعتنق الإسلام حتى يتزوجا وأضافت قائلة: "إن لم تفعل ذلك وإن أصررت على أن شريعتكم أفضل من شريعتنا، وأنا أعتقد بذلك، فأغير أنا ديني" وعندما علم برغبتها في التعميد قرر تشجيعها على هذه النية وفي نفس الوقت يشنت أفكارها عن الحب. وبعد أن ارتدت ماراجدينا عن الإسلام، وافق سيكاريانو (الذي أسره تيرانت) على أن يتلقى التعميد أيضاً. وبذلك تزوج الملوك المسيحيين، ملك اثيوبيا وملكة تلمسان. وتحالفت قوات تيرانت وسيكاريانو معاً ضد المسلمين وبالتالي نجحت الجيوش المسيحية في غزو وتحويل شمال أفريقيا إلى المسيحية. وكذلك كانت بلاثيرديميفيدا على متن السفينة التي تحطمت على ساحل البربر. وانفصلت عن تيرانت، وقد أنقذها أحد رجال المسلمين الطيبين ووضعها عند

²⁸ Malory, Sir Thomas. *La muerte de Arturo*. Basada en la edición de William Caxton. Traducción de F. Torres Oliver, Madrid: Ediciones Siruela, 1999.

ابنته المتزوجة. وبدورها قامت الابنة ببيع الفتاة لتخدم ملكة مونتاجاتا. وعندما حاصرت القوات المسيحية هذه المدينة هربت بلاثيرديميفيدا متخفية تلتمس حياة السكان من تيرانت. وتبادلت أحاديث طويلة مع تيرانت كان موضوعها الرئيسي مغامراته في أفريقيا التي أبعدته عن هدفه الرئيسي، وهو إنقاذ أقاربه الأسرى. وقد تأثر تيرانت بكل الأشياء الغريبة التي روتها السيدة، وأخيراً تعرف على بلاثيرديميفيدا وراح يواسيها عما كابدته، وراح يرتب زواجها من السيد أجرامونت وأصبح الاثنان ملك وملكة فاس.

واصل تيرانت غزوه لبلاد البربر، ولكنه بدأ في التفكير في العودة إلى القسطنطينية عندما وصلته الأخبار بأن الإمبراطور قد ساءت حالته الصحية كثيراً. وقد حاصرت قوات الأعداء المدينة الإمبراطورية من ناحية وحاصرها الأسطول التركي من ناحية أخرى. فجمع الفارس المسيحي جيشاً عظيماً وأرسل الملك سيكاريانو إلى أثيوبيا ليجمع المزيد من الرجال. انطلق تيرانت إلى صقلية للحصول على مساعدة رمزية من صديقه القديم فيليب الذي أصبح ملكاً على تلك الجزيرة.

في الجزء السابع والأخير من الرواية (استعادة الإمبراطورية اليونانية) التي عرفنا منها مؤامرة هيبوليتو للاستيلاء على التاج وبسرعة انتصر تيرانت وأسطوله على البحرية التركية في ميناء القسطنطينية. وبهذا العمل تم عزل القوات البرية عن البحرية للاتراك، وعلى الفور قدم عرضاً للسلام النهائي. وتم الاتفاق على السلام وانتقلت القوات التركية المسلمة إلى تركيا بينما ظل ملوكهم أسرى.

والآن قام القائد الجديد بمعركته الكبرى للزواج من كارميسينا. ومرة أخرى قدمت بلاثيرديميفيدا له المساعدة، في هذه المرة مضى كل شيء على ما يرام ومن قبل كان الملك قد منحه التفويض الرسمي بالزواج من ابنته وجعله قيصر الإمبراطورية، مثال: الخليفة على العرش الإمبراطوري. فبدأ تيرانت حملته الأخيرة التي انتصر فيها بتوحيد الإمبراطورية وأضاف إليها مقاطعات أخرى أكثر من ذي قبل. وفي تلك العملية حرر أقاربه من الأسر وأطلق دوق مقدونيا (ديافيوس) ليرجع إلى دوقته (استيفانيا).

ولكن لسوء الحظ، وبلا أي سبب ظاهري أكثر من نزوة الثروة، ظهر المرض في جانبه. ومات في مدينة ادريانوبل وهي نفس المدينة التي أغتيل فيها الكاتالاني روجر دي فلور^{٢٩}.

^{٢٩} في هذه المدينة أغتيل روجر دي فلور، المغامر الكاتالاني الذي استوحى منه مارتوريل شخصية تيرانت.

ولقد عانت الأميرة من الأسى لهذه الحادثة وأخيراً توفي الإمبراطور، وماتت هي الأخرى من الحزن والغم. وعندما تولى هيبوليتو العرش أوفد ممثلي بريطانيا للعودة بجثمان تيرانت إلى وطنه وبصحبة الأميرة. وأقيمت مراسم مهيبة لتشيع الجنازة للحبيبين ونُفنا في نفس الضريح منقوشاً عليه هذه العبارات (فصل ٤٨٥):

"يرقد في هذا الضريح الصغير الفارس الفينكس (العنقاء)
وأجمل فتاة في العالم
في هذا القبر الصغير دفن الاثنان معاً
وستبقى رايتهما منشورة للأبد تصارع الفناء:
تيرانت لو بلانك والرفيقة كارميسينا

ولكن الأسباب المحيطة ب وفاة الشخصيات الرئيسية يستعرضها المؤلف وذلك لاحتمال الاستمرار في عاداته لتقديم مستندات داعمة لبرهان سرده القصصي. ولذلك يُخرج وصايا تيرانت وكارميسينا ونقرأها بالكامل، ويحدد فيها من يقوم بتنفيذها. تفاصيل لم يفتقد لها قسيس سيرفانتس في روايته " دون كيشوت " وطريقة وفاة البطل كانت مدهشة أيضاً. فتيرانت كان يعاني من مصيبة طبيعية لانكسار ساقه وفي النهاية يموت بسبب مرض داخلي مجهول، ربما يكون من التهاب الزائدة الدودية. منذ بداية الرواية مع جييرمو وحتى موت البطل، فإن النغمة السائدة في الرواية كانت الواقعية وربما كانت ركيكة، ولكن هذه كانت النغمة سائدة في القرن الخامس عشر، والحقيقة التي ساهمت في ذلك هي استقبال القراء للأسلوبية المصطنعة لأدب الفروسية.

وأخيراً، فإن الترجمة الحالية هي ترجمة حرة وذلك لأن رواية " تيرانت لو بلانك مدونة بأسلوب أجنبي لا تخلو من الأغلاط النحوية وجزالة التعبير. لقد بذل مارتوريل جهداً في الاقتضاب واستعمال الأسلوب المباشر وخصوصاً عندما كان يتحدث بصوته، فالخطاب الذي كان يضعه على ألسنة شخصياته يمكن ترجمته في إطناب خطابي بلاغي يقترب من الغموض.

إن رواية " تيرانت " قد كُتبت منذ أكثر من خمسمائة سنة وألفها كاتب مغمور في زمن وثقافة وقيم مجتمعه. كان حسه التعبيري والزمني، واستعاراته وصوره المجازية غالباً ما تظهر في الحشو اللفظي والتكرار، وأخطاؤه "بالمعايير المعاصرة" ساهمت بصورة فريدة في هذا العالم الذي صورته لنا.